

جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ / ديسمبر ٢٠٢١ م

الترقيم الدولي (٥) ٣٣٦٥-١١١٨ / (٤) ٢٣٤٣-٢٦٩٥

متوفرة على الموقع الإلكتروني
www.malamjournal.org



مالم

مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة)

العدد الرابع / الكتاب الثاني

يصدرها

قسم اللغة العربية

جامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا



- 18- أبعاد الشخصية في "المعذبون في الأرض" قصة صالح أنموذجا
الدكتور سجاد أبوبكر ناصر.....157-143
- 19- الصورة الفنية في حائية العلامة عبد الله بن فودي: دراسة وتحليل
كريم عبد الله مؤمن.....171-158
- 20- الأدب العربي النيجيري وإشكالية الإبداع الفني المعاصر: قراءة مجددة
مرتضى بن عبد السلام الحقيقي.....186-172
- 21- صور من الوصايا عند علماء الجهاد الصكتي
الدكتور زكريا محمد عبدالله.....197-187
- 22- صور بلاغية في خطبة حجة الوداع للرسول صلى الله عليه وسلم
موسى صحابي.....210-198
- 23- شعر الفكاهة في الأدب العربي النيجيري: قصيدة الشاعر الشيخ الصديق تَفْكي تَزْ كُوْكو
نموذجا
د. غزالي بلو.....224-211
- 24- الاستغاثة في قصائد محمد الناصر كبر الكنوي: دراسة تحليلية نقدية
دكتور أبوبكر عبد الله صلاتي ودكتور خليل الله محمد عثمان بودوفو.....238-225
- 25- الانزياح الدلالي عند الشيخ إبراهيم صالح الحسيني: الاستعارة نموذجا
الدكتور محمد الماحي بللو والدكتور حافظ مصطفى ثاني.....252-239
- 26- الزواج في الشعر العربي النيجيري: شعر عيسى ألي أبوبكر أنموذجا
الدكتورة حسنة فنميليلايو أبوبكر حامد.....267-253
- 27- جمالية الموسيقى في قصيدة "البعوض" للشاعر آدم يونس: دراسة تحليلية
محمد آدم يعقوب وإبراهيم هارون محمد.....277-268
- 28- الشعر التعليمي عند الشيخ محمد غوني كولو "كتاب أصول الدين نموذجا"
د. خديجة أبة مصطفى290-278
- 29- دلالات إنشائية في أشعار الشيخ عبد الله أويس ليمنت "دراسة بلاغية تحليلية"
عبد الرحمن داوود ميكائيل وموسى معاذ محمد.....302-291
- 30- صور الجناس في همزية الشيخ عبد الواحد محمد النظيفي الْقَرْمُوي
د. زبير موسى ود. سوبوا الحاج ود. ثالث مختار قاسم.....313-303

الاستغاثة في قصائد محمد الناصر كبر الكنوي:

دراسة تحليلية نقدية

Critical Analysis of Muhammad Nasir Kabara's Odes on Istighaatha

بإعداد:

دكتور أبو بكر عبد الله صلاتي¹ودكتور خليل الله محمد عثمان بودوفو²

قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، نيجيريا

ملخص البحث:

يصطبغ شعر الشيخ محمد الناصر كبر بالصبغة الصوفية، وكان له في هذا المجال أشعار رائعة في أغراض مختلفة منها الاستغاثة التي تفنن في التعبير عنها بألفاظ شعرية مناسبة تنعكس عليها أخیلته الجميلة وانفعالاته القوية. وقد اختار الباحثان من بين هذا الغرض (الاستغاثية) تائيته التي استغاث بها بالأولياء الكرام وخاصة الشيخ عثمان بن فودي، لما تضمنته القصيدة في طيها من أبعاد الاستغاثية، وما فيها من الأساليب الفنية الجذابة التي تؤثر في القارئ أو المتلقي. ويهدف الباحثان في هذا العمل المتواضع إلى استخراج الخصائص الفنية الكامنة في هذه القصيدة الثانية وتحليلها ونقدها، ثم عرض النتائج والاقتراحات اللازمة. انتهج الباحثان في هذا العمل المنهجين: التاريخي والوصفي؛ فتم المنهج التاريخي في ترجمة الشيخ محمد الناصر كبر وإنتاجه الأدبي بالإيجاز، ثم أتى المنهج الوصفي لتحليل القصيدة ونقدها شكلا ومضمونا. ومن ثم جاءت الخاتمة لعرض النتائج التي توصل إليها الباحثان وتوصية الباحثين اللاحقين بما يمكن القيام به في التراث الكبري الشعري.

Abstract:

Sheikh Muhammad Nasir Kabara is a renowned Sufi scholar whose poetic works centre majorly on Sufi background. He has composed many poems which are related to Sufi among which is Al-istighatha; (beseeching for help). His odes on Al-istighatha are numerous but the researchers chose his Taaiyyah which contains many literary styles, artistic features, rhetoric patterns and full of poetic words. The researchers in this work critically examined the artistic features and styles that were employed by Sheikh Muhammad Nasir Kabara in this purposively selected ode which is of 72 lines of poem. The researchers adopted historic and descriptive methods for this work. The historic method was used to document the biography and works of the poet while the poem was subjected to thematic and content analysis of qualitative research design using

¹ salaty.aa@unilorin.edu.ng / alashraafy.as@gmail.com / +2348033063549² khalilulahghodofu@gmail.com / +2348033579614

a descriptive method. This work was furnished with findings and necessary suggestions for further researches.

التمهيد:

تدل الاستغاثة في اللغة على معاني الاستعانة، والاستنجاد، والاستمداد، والاستنصار. وهي مصدر الفعل: "إِسْتَعَاثَ - يَسْتَعِيْثُ - إِسْتِعَاثَةً"، على وزن: استفال - يستفيل - استفالة. هذا، لاعتلال عين الفعل ويطلق عليه اسم "الأجوف".

استغاث: صاح واغوثاه، والاسم: الغوثُ والغوثُ والغوثُ. الغوث بالفتح، كالغيث بالكسر من الإغاثة. ويقول الواقع في بلية: أغثني، أي: فرج عني. ويقال: استغث فلانا، فما كان لي عنده من مغوثة. ولا غوث أي: إغاثته؛ وغوث: جائز في هذه المواضع أن يوضع موضع المصدر من أغاث^(١). وغاث الله البلادَ - يغيث - غيثاً وغيثاً: أنزل بها الغيث، وأغاث الله عباده: أجاب دعاءهم. والغيث: المطر أو الخاص منه بالخير^(٢). وغاثه الله، يغوئه - غوثاً: نصره وأعانه. وأغاثه: غاثه. ويقال أعانهم الله برحمته: كشف شدتهم. وأغاثهم بالمطر: أرسله عليهم. وغوث الرجل: قال: واغوثاه. واستغاث فلان فلانا، وبه: طلب منه الغوث. والغوث: الإغاثة والنصرة. ويقال في الشدة تنزل بالمرء فيسأل العون على كشفها: واغوثاه. والغيث ما أغيث به^(٣). واستغاث الرجل: غوث، واستغاث فلانا وبه: استنصره واستعان به. والاستغاث: طلب الغوث. وعند النحويين: نداء من يخلص من شدة أو يعين على دفع بلية؛ ويقرن المستغاث به بلام مفتوحة، والمستغاث له بلام مكسورة. يقال: يا لله للمسلمين....^(٤). والمغوثة: المعونة والنصرة.

فهذه الصيغ الواردة في المعاجم اللغوية تدل دلالة واضحة على اشتقاق وأصالة كلمة "الاستغاثة" في اللغة العربية، فليست كلمة مستحدثة بل هي مألوفة الاستعمال عند العرب. ومما يزيد التعبير وضوحاً وتأكيداً ورود هذه الكلمة في القرآن الكريم حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾^(٥)، وقال أيضاً: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(٦)، وقال أيضاً في استغاثة المؤمنين إياه ليلة البدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾^(٧)، وقال أيضاً: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ...﴾^(٨). وإذا أمعنا النظر في هذه الصيغ نكتشف أنها ترجع إلى أصالة معناها وهي طلب العون والمدد والنجدة والنصرة على كشف الضرر والمشقة، هذا هو المعنى اللغوي للاستغاث.

أما الاستغاثة في الاصطلاح، فيرجع معناها إلى ما اصطلاح عليه الأدباء الصوفيون حيث يطلقونها على دعاء الله بالحاح لينقذ وليغيث الداعي في الكروب والخطوب والأحداث والأزمات وينقذه منها^(٩). وإننا في هذه الدلالة نلاحظ أن موضوع الاستغاثة هو الدعاء بدون خلاف، إلا إذا أمعنا النظر في مفهوم الاستغاثة الشرعي فنرى أنه يختلف من المفهوم الصوفي للاستغاثة في حين لا يستغاث بمن لا يقدر على دفع الضرر، أو النصرة على المشقة، إما لعدم قدرته أو جهله بحال الداعي، أو عدم سماعه

● التعرف بالشاعر

● الخاتمة وعرض النتائج،

التعريف بالشاعر

227

الإسلامية والمجاسن الصوفية ورفع مستوى اللغة العربية وأدائها والتربية الإسلامية داخل نيجيريا وخارجها.

أما مؤلفاته فكانت تزيد على المائتين - حسب قول الدكتور شيخ عثمان كبر - ما بين منشور ومنظوم في اللغتين العربية والهوسية، ولكن أكثرها في اللغة العربية، منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ومنها ما تناولته يد الضياع⁽¹⁴⁾.

بدأ قول الشعر منذ نعومة أظفاره حتى استتب أمره وقويت ملكته الشعرية في أغراض الشعر التراثية منها والصوفية، أمثال المدح، والرثاء، والوصف، والمناسبات، والرحلات، والحكم، والزهد، والتعليم، وشعر التصوف بشتى أغراضه؛ أمثال المديح النبوي، والزهد، والحب الإلهي، والاستغاثة، والتوسل، ومدح الشيوخ والأولياء الكرام، والمناجاة، وشرح الأحوال والمقامات.

يمتاز شعر محمد الناصر كبر بخصائص فنية وأساليب أدبية رائعة خصوصاً شعره في المديح النبوي؛ منه قصيدة مهمة ليس فيها حرف منقوط، نالت إعجاب الأدباء في عصره، بل يعتبر الشيخ أول ناسج على هذا المنوال في هذا اللون من الشعر في نيجيريا⁽¹⁵⁾. نأخذ أبياتاً منه لنضرب بها المثل حيث قال:

أَعْلَى سَلَامٍ لِأَعْلَى الرُّسُلِ إِغْلَامًا # وَأَكْرَمَ الرُّسُلِ أَخْلَامًا وَإِسْلَامًا
مَا أَرْسَلَ اللَّهُ أَعْلَى سَرْمَدًا أَحَدًا # كَأَحْمَدِ الْعَلَمِ الْمَعْلُومِ إِغْلَامًا⁽¹⁶⁾.

وليس هذا فحسب، بل كانت أشعاره تحتفل كثيراً بالألفاظ ذات الطابع القاموسي. وليس القول بأن شعره طوفان من الألفاظ على صحراء من المعاني، إنما ترى الألفاظ الجزلة في مكان الجزالة، والدقيقة في مكان الدقة. ولا غرو، إذ الأديب وليد بيئته، ولأن الإنتاجات في عصره تمتلئ كثيراً بمثل هذا البعد اللغوي.

توفي الشيخ محمد الناصر كبر في منتصف الليل يوم الجمعة 20 جمادى الأولى 1417 هـ الموافق 4 أكتوبر 1996 م، بداره المشهورة دار القادرية في مدينة كنو، فصلّى عليه أكبر تلاميذه؛ الشيخ يوسف بن عبد الله المكراري في ساحة الجامع الكبير لمدينة كنو، ودفن في مقبرة ميغني بكنو⁽¹⁷⁾.

مفهوم الاستغاثة الشعري
يمكننا القول بأن الاستغاثة في هذا المجال لم يختلف معناها عن المعنى الذي تقدّم عليه الكلام فالاستغاثة غرض من أغراض الشعر الصوفي منذ قديم وحديث، يتناولها الأدباء الصوفيون للتعبير عن وجدانهم وحالاتهم وميولهم كما كانت أداة لنداء ودعاء من يغيثهم عند الشدائد. وهي وسيلة الدعاء لمناجاة الله تعالى عند البؤس والنقم.

أنواع الاستغاثة في شعر الشيخ محمد الناصر كبر الصنهاجي:
لا تتجاوز الاستغاثة في شعر محمد الناصر كبر ثلاثة أنواع. وهي:

• الاستغاثة بالله تعالى.

- الاستغاثة بالأنبياء والرسل وخاصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،
- الاستغاثة بأولياء الله الكرام.

1- الاستغاثة بالله تعالى

قد أسلفنا الذكر أنّ الاستغاثة لون من ألوان الشعر الصوفي الرفيع، اتخذها الأدباء الصوفيون أداة لتسجيل عواطفهم ولما جاء الله تعالى مستغيثين به عند المخاوف والشدائد. وهذا اللون من الشعر الصوفي، كان من الألوان المتفق عليها شرعا بدون خلاف ولا نزاع، وهو الاستغاثة بالله تعالى. وجدنا أنّ الشيخ محمد الناصر كبر الصنهاجي لم يترك هذا الباب من الشعر الصوفي إلا دقّه دقًا شعريًا جميلًا، سجّل فيه أحواله وعواطفه حيث قال:

مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ لِكُنِي	تُمَدُّ يَدُكَ نَحْوَ يَدِي
لِتُنْقِذَنِي وَتُوصِّلَنِي	إِلَى مَا فِيهِ لِي رَشْدِي
فَكَيْفَ رُعِيتَ تَتَرَكُّنِي	وَنَارُ الشُّوقِ فِي كَيْدِي
يَظُنُّ بِنَا الْحَسُودُ لَنَا	ظُنُونًا طَبَّقَتْ بَلْدِي
يَظُنُّكَ لَسْتَ تَنْصُرُنِي	فَتُبْقِيَنِي عَلَى أَوْدِي
وَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّكَ بِي	خَفِيٌّ نَاصِرٌ أَبْيِي
فَأَنَّكَ قُلْتَ تَنْصُرُ مَنْ	يُنَادِي بِاسْمِكَ الصَّمَدِ
فَحَمَّهْلَنْ وَحَمَّهْلَنْ	لِمَنْ يَدْعُوكَ فِي كَيْدِ
فَحَمَّهْلَنْ وَحَمَّهْلَنْ	لَنَا يَا صَاحِبَ الْمَدَدِ
مَدَدْتُ يَدِي أَنَا وَجَمِيعُ	مَنْ يَهْوَاكَ مِنْ وَلَدِي
نَقُولُ هَلُمَّ يَا سَنَدِي	هَلُمَّ هَلُمَّ يَا عُودِي ⁽¹⁸⁾

2- الاستغاثة بالرسول محمد المصطفى "صلى الله عليه وسلم"

الاستغاثة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم لون آخر من ألوان شعر الاستغاثة الصوفي الذي يستخدمه الصوفيون للتوسل إلى الله تعالى، سواء أكان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حيًا أو ميتًا. وليس من أدنى شك أنّ الأشعار الاستغاثية التي كانت بأيدينا اليوم، إنّما هي الاستغاثة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد موته والتي تعتبر توسلا. وهذه كما نلاحظ، هي النقطة الواصلة بين الاستغاثة والتوسل، وكما نرى كذلك أن كثيرا من الأشعار الاستغاثية التي ينتجها الأدباء الصوفيون،

كانت تمتزج باللون التوسلي؛ ذلك أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ليس على قيد الحياة فنستغيث به، وإنما نستغيث متوسلين به إلى المولى العظيم لقضاء الحوائج والإجابة لنداء المستغيث. يقول الشيخ محمد الناصر كبر في هذا الصدد:

يَا رَسُولَ اللَّهِ خُذْ بِيَدِي
أَنْتَ يَا مُخْتَارُ مُسْتَنْدِي
أَدْعِي أُنِّي وَلِيْدُكُمْ
إِنْ أَكُنْ سَلَمَانُ بَيْتِكُمْ
وَإِذَا مَا لَمْ أَكُنْهُ فَهِيَ
فَدَأْتِيَتْ إِلَيْكَ مُنْقَصِلًا
شَمَتِ الْأَعْدَا حَبِيبَكُمْ
طَالَمَا غَرِذْتُ بِأَسْمِكُمْ
طَرِبِي مِنْ ذِكْرِكُمْ طَرِبَ
رُبَّمَا أَبْكِي إِذَا ذُكِرْتِ
إِنْ ذُكِرْنَا دَارَ هِجْرَتِكُمْ
أَوْ ذُكِرْنَا نُورَ طُلُعَتِكُمْ
هَاجَتِ الْأَشْوَاقُ تَهْتِفُ بِي
رُبَّمَا يَبْدُو عَلَيَّ خَلْدِي
لَيْتَ طَيْفًا زَارَ رَحْبَتَنَا

وَتَذَارِكُنِي فَأَنْتَ أَبِي
وَالْيَنِكَ الْيَوْمَ مُنْقَلَبِي
فَعَسَى تَرْضَوْنَ مُنْتَسَبِي
كَانَتْ الْأَحْوَاسُ فِي النَّسَبِ
أَنَا لَا أَنْفَكُ بِالْعَنْبِ
أَوْغَيْرُ الْوَصْلِ يَجْمَلُ بِي
أُتْرَى الْأَعْدَاءُ تَشْمُتُ بِي؟
فَأَنْتَشَى الْأَزْوَاجُ فِي طَرِبِ
لَمْ يُشَبَّهْ الدَّهْرُ مِنْ رَبِّ
لَفْظَةً تَغْنِيكَ فِي الْكُتُبِ
جَرَّتِ الْأَشْوَاقُ مِنْ صَبَبِ
وَبَرِيْقًا رَاقٍ فِي شَلَبِ
وَيْكَ هَذَا أَشْرَفَ الْعَرَبِ
فَأَشَمَّ الْعِطْرَ مِنْ كَثَبِ
لَا يَزَالُ الدَّهْرُ فِي رَحْمِي⁽¹⁹⁾

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى الأدباء النيجيريين أطلقوا المدح على هذه القصيدة؛ أمثال الدكتور علي أبوبكر في كتابه (الثقافة العربية في نيجيريا)⁽²⁰⁾ والبروفيسور شيخو أحمد غلادني في كتابه (حركة اللغة العربية و آدابها في نيجيريا)⁽²¹⁾، وسار على نهجهما الأخ أبوبكر عبد الكريم الصلاتي في بحثه لدرجة الليسانس (المختارات من شعر المدح للشيخ الناصر الكبري)⁽²²⁾. وإذا أمعنا النظر في هذه القصيدة بالدقة، نكتشف أنّ الغرض السائد فيها هو التوسل والاستغاثة فلذلك نخالفهم الرأي لأنهم نقاط نوجزها فيما يلي:

• إنّ النداء أو الدعاء موضوع شعر الاستغاثة، وبه استهل الشاعر القصيدة واختتم.

لِذَلِكَ لَمْ أَطْلُبْ بِوَاكِ وَلَمْ أَفُتْ
مَقَامِي مَقَامٌ لَا أَرَى فِيهِ أَكْلَةً
وَلَوْلَا رَجَائِي فِيكَ عِثْمَانُ لَمْ أَزَلْ
أَعِثْمَانُ إِلَيَّ لَمْ أَزَلْ بِكَ وَالْهَـ
نَوْدُ لَوْ أَنَا تَحْتَ قُبَّتِكُمْ نَرَى
فَوَ اللَّهِ قَدْ نَاحَتْ بِغُرْبِي حَمَامَةٌ
سَأَلْتُ مَا لَمْ تَنْظُرَنَّ لِحَمَامَتِي
هُوَ الْحُبُّ مَنْ يَظْعَرُ بِهِ قَارَ بِالْمُتَى
مُجِبُّكَ لَا يَخْلُو مِنَ الْخَيْرِ دَائِمًا
جَمَعْتُ هَوَاتِي فِيكَ بَعْدَ انْتِشَارِهِ
أَتَيْتُ إِلَى عِثْمَانٍ مِنْ أَرْضِنَا كُنُو
أَبِحْمُنْ أَنْ أَتِيكَ عِثْمَانُ بَائِسًا
وَحَقِّكَ إِنْ لَمْ تَحْفَ بِِي وَثَبَالِ بِي
كَفَّائَتِي فَخَرًا أَتَيْتِي مَتَمِّتِكَ
وَحَقِّ الْبَيَّوَى أَتَيْتِي بِرَّتِي مُؤْمِنٌ
أَقُولُ وَقَدْ طَالَ الْبَيَّوَى مَتَرَقِبًا
خَبِمْتُ نَكَالِيكَ الْبَيَّوَى وَمِطَالُهُ
تَرَكَمْتُ الْأَعْوَالُ وَالْإِذَاذَ خَوْفَهَا
غَرِقْتُ بِحَبْرِ الدُّنْبِ مِنْ لِي بِأَخِي
فَمَا لَكَ مِنْ شَيْءٍ لَفُطِّلَ الْبَيَّوَى
بِتَابِكَ جِئْنَا نَرْجِي مِنْكَ نَظْرَةً
أَتَيْتُكَ كَيْ أَشْكُو إِلَيْكَ خَمَامَةً

بِبَابِ بَيَّوَى عِثْمَانُ غَوِيَتْ الْفُطَالَةُ
وَلَا مُرِيَّةَ إِلَّا مَرَايَا بِفِيْعَةِ
بَيَّوَسْنَا لِمَا بِي مِنْ كِبَائِرِ خَوْبَتِي
عَمَى عَظْفَةً مِنْكُمْ إِلَيْنَا بِجَذْبَةِ
جِذَاءٍ مَجَازِيْبٍ لَدَيْكُمْ بِقُبَّةِ
وَقَدْ مَبَقَّثْنَا نَوْحَةً مِنْ جَمَاعَتِي
إِلَيَّ أَنْ تَرَانِي أَوْ تَصْبِيحَ لِنُوحَتِي
وَمَنْ لَمْ يَجِدْهُ لَمْ يَنْلِ أَيُّ بُغْيَةٍ
وَلَوْ كَانَ فِي أَرْضِي تَرَامَا بِعَبِيدَةٍ
وَذَكَرَنِي مَعَنَّاكُمْ كُلُّ صُكُّتِي
عَمَى وَلَعَلَّ اللَّهَ يَقْضِي لُبَانَتِي
وَأَمْوَكَ بِالْأَحْشَا وَتَخْذَلُ وَجْهَتِي
وَلَمْ تَرْضَخَنِي عِثْمَانُ وَاطْلُوْنَ خَمْرَتِي
بِحَبْلِكَ حَتَّى تَعْتَرِيَنِي مِنْبُئَتِي
وَبِالْمُصْطَفَى وَالشَّيْخِ عِثْمَانُ عُذَّتِي
أَعِثْمَانُ هَلْ مِنْ نَفْحَةٍ صُكُّنِيَّةِ
أَلَا يَا وَلِيَّ اللَّهِ أَنْظُرْ نَامِنِي
عَلَى الْبَيِّنِ وَالذُّنْبَا فَمَنْ بِالْإِغَاثَةِ؟
يَحُزُّ بِي حَالًا إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ
بِهِ خَالِقُ الْأَكْوَانِ رَبُّ الْمُرْتَةِ
فَمَا عِزَّتِي أَنْ فُزْتُ مِنْكَ بِنَظْرَةٍ
مُغَالِطَةٍ بَاغِيْنِ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ

رَفَعْتَ لَكَ الشُّكُوى فَإِنَّكَ عُمِدَتِي
خَفِيَّ بِنَا شَتَّتَهُمْ بَدَدْنَهُمْ
يَدْسُونَ فِي دَعْوَى الرُّشَادِ غَوَايَةً
مَدَدْتُ يَدِي أَدْعُوكَ هَيَّا إِلَيْهِمْ
أَسْلَمَ مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ
أَعِنَّا عَلَى الْبَاغِينَ شَيْخَ مَهْمَةٍ
فَهُمْ هُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ دُونَ مِرَّةٍ
يُرِيدُونَ إِهْلَاكَ الْوَزَى بِالدَّسِيسَةِ
عَلَيْكَ بِهِمْ حَالًا هُمَامَ الْفُتُوَّةِ
وَأَلٍ وَأَصْحَابٍ وَسُلَاكٍ سُنَّةٍ⁽²⁴⁾

• يتغلب الأسلوب الخطابي أكثر في القصائد الاستغاثية، وبه استعان الشاعر في تناول القصيدة.

• الألفاظ والمعاني وكذلك الأفكار السائدة في القصيدة، إنما تتعلق كثيرا بخصائص الشعر الاستغاثي.

• موضوع القصيدة الرئيس هو التوسل والاستغاثة.

3- الاستغاثة بالأولياء الصالحين.

إن الاستغاثة بأولياء الله الصالحين نوع آخر من أنواع الاستغاثة في الشعر الصوفي. ولقد تعود الصوفيون أن يستغيثوا بهؤلاء الأولياء الأبرار لعلو مقامتهم ومنزلتهم عند الله تعالى لقوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽²³⁾. وعلى هذا الأساس، كان الأدباء الصوفيون يستغيثون بالأولياء متوسلين بهم إلى الله تعالى في قضاء حوائجهم، كما كانوا يشيدون بشمائلهم و التغني بسجايهم الحميدة في هذا الشعر. وسنرى هذه الظاهرة واضحة في قصيدة نعرضها في السطور التالية. وهي القصيدة التي استغاث بها الشيخ محمد الناصر كبر بالشيخ عثمان بن فودي الفلاني كما يلي:

مناسبة القصيدة

قال الشيخ محمد الناصر كبر هذه القصيدة عندما قام بإحدى زياراته لضرع الشيخ عثمان بن فودي الفلاني بصكتو، وبها أكمل القصيدة أمام الشيخ عثمان مرتجلا ومتوسلا به إلى المولى الجليل كما صرح عنه ذلك. يقول:

وقد أردت أن أختتم هذا التوسل بقصيدة قلتها بين يدي الشيخ المجتهد عثمان
رضي الله عنه في قبته المكرمة، وسميتها: فتح الرحمن في التوسل إلى الله تعالى بنور
الزمان سيدنا ومولانا المجتهد عثمان، مبنية على رموز قوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا
رَجِيمًا" (سورة النساء، الآية: 64) ⁽²⁵⁾.

ونقسم من قوله أن القصيدة يفتح كل بيت فيها بحروف تلك الآية الكريمة، وبذلك تبلغ
الفتين وسبعين بيتاً. لكن الباحثين استخرجوا من القصيدة ما تغلب عليه لون الاستغناء
من الأبيات التي يبلغ عددها سبعة وعشرين بيتاً.

الشرح الإجمالي

من خلال هذه الأبيات، يستغيث الشاعر بالشيخ المجدد عثمان بن فودي الفلاني القادري إذ لم يجد
ملاذاً سوا. وكان يقر أنه لولا رجاءه فيه فلا يزال يؤوسا والهيا، كما كان يشكو أمر جماعته للشيخ
عساو ينظر إلى حالهم لأنه الحب الذي به ينال عاشقه الخير الجسيم. ولذلك تبادر الشاعر إلى
اغتنام بركته بالرجلة إلى أرض صكتو لعل الله يقضي به حاجته. ويتحسر الشاعر على نفسه إن لم
تتحقق بغيته مع حبه الشديد له! ويقر أنه متمسك بحبله المتين إلى أن يتوفى في حين أنه مؤمن بالله
وبالرسول صلى الله عليه وسلم في تحقيق رغبته؛ لأنه طالما يتقرب تلك النفحة الصوكتية. والملاحظة
أن الشاعر - فيما يبدو - قد سئم تكاليف الهوى وأعباءه وقرامحه، لذلك استغاث بالشيخ عثمان
لينظر إلى سنامته وبغيته من المخاوف التي وجد نفسه فيها متحيراً، وليأخذ بيده نحو السداد
والاستقامة.

يستغيث الشاعر بالشيخ عثمان واقفاً ببابه وراجياً منه المدد والنفحة، كما هو يشكو جماعة يبغون
في سبيل إضلال الناس وإهلاكهم. ويسأل الشيخ أن ينظر إلى تشتيت وتبديد شملهم حتى لا يكون
لهم شأن، ويمد الشاعر يد المسألة والتضرع إلى الشيخ - مجازاً - أن يجيبه حالاً. اختتم الشاعر هذه
القصيدة بالصلوة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وآله وأصحابه والتابعين سنته إلى
يوم الدين.

اللفظ والمعنى

تخضع هذه القصيدة لحكم الملازمة بين اللفظ والمعنى حيث نرى أن الشاعر موفق في حسن اختيار
الألفاظ الملازمة للمعاني، فإنه قد وضع الألفاظ في قولها فتناسبت معانيها في شيء من الإيحاء.
ونلاحظ هذه الظاهرة حيث يقول:

لجأت إليه واستجرت ببابه فطوباني إذ بالمصطفى استجارني

ففي اختياره كلمة "لجأت" لحمل معنى الاستغناء التي هي المحور الأساس للقصيدة إيحاء وإثارة
إحساس المتلقي والقارئ، إذ تعني كلمة "لجأت" الاحتماء بالشئ والاستناد والاعتصام والاستعانة به⁽²⁶⁾.
وفي الجمع بين الكلمتين "لجأت واستجار" في بيت واحد شئ يوحى بالمؤاخاة بين اللفظ والمعنى.

كما تمتاز القصيدة كثيراً بالاصطلاحات الصوفية التي نالت نصيب الأسد من ألفاظها. ومن هذه
الاصطلاحات "الكشف، الاستغناء، المنجى، الملجأ، الغوث، الوله، العطف، الجذب، الحب، الهوى، العدة،
النفحة، الخوف، الولاية، الصباية، السكر، القطب، الحقيقة، الكرامة، الاستقامة، الشكوى، العمد،
التجلى، المدد..." ووفق الشاعر في استخدام هذه الألفاظ لمعانيها المألوفة فوافق شئاً طبقه. ورأينا أن

الشاعر لم يكن مشغوفاً بإيراد الألفاظ الجريئة. إنما استعان بالألفاظ السليمة الدقيقة في تامة معاني القصيدة جيدة.

العاطفة والخيال

إنَّ العاطفة والخيال عنصران مهمَّان من عناصر الأدب المنظوم. يتعبَّر الشاعر بهما في أسلوبه ومدى نجاحه في استخدامهما لصنعتيه الشعرية.

تمثل العاطفة استعداداً نفسياً ينشأ عن تكرار الانفعالات واجتماعها وترابطها وانتظامها نحو موضوع معيَّن من الموضوعات التي تثير الانفعالات، فينشأ عن ذلك شعور راسخ في النفس نحو هذا الموضوع بالحنين إليه أو النفور منه، والرضا عنه أو السخط عليه، وحبّه أو كراهيته⁽²⁷⁾.

أمّا الخيال فهو تلك الصور التي يرسمها الشاعر في عمله الأدبي، والتي تساعد على توضيح المعاني وإبراز عواطفه ومشاعره. ذلك أنَّ الأديب يرى الحياة والناس وفي سائر الكائنات وفي مشاعر الطبيعة كثيراً ممّا يأخذ بمجامع قلبه، ومما يعجبه و يروقه، كما يرى فيها ممّا ينفق عليه كثيراً، وكذلك ممّا يؤلمه ويسوّده فتؤثر هذه وتلك في نفسه، وتثير مشاعره بالرضا أو السخط، أو بالثقة أو الألم، ثمَّ يحاول التعبير عن آثار ما رأى أو سمع أو أحسَّ في أعماق نفسه لينقل إلينا صور ما انفعل به في أسلوب أدبي⁽²⁸⁾.

الملامح البلاغية

استعان الشاعر بملامح بلاغية في نسج القصيدة، منها ما كانت معانيه الطبع في تركيب الجمل كإيراد صيغ الأفعال الماضية في القصيدة للتحقيق والتأكيد في مثل قوله:

وجدتُ رسولَ اللهِ أكبرَ ملجأ،

لجأتُ إليه واستجرتُ ببابه،

أنيتُ إليكم في ذنوبٍ كثيرة،

سبقت رجال الله كلا إلى الحى.

ومنها الحذف في قوله:

لذلك لم أطلب سيّواك ولم أقف

بباب سوى عثمان غوث القطامي

أي سوى باب عثمان. ومنها التوكيد الإنكاري في قوله:

فوالله قد ناحت بِقُرْبِي حمامةٌ

وقد سبقتُها لَوْحِي في جماعة

وحقّ هوانِي في الوَرَى وَصَبَابِي

لأنّ اعتماذي في مال هَدَابِي

ومنها الاستفهام الذي يعني به الإقرار في قوله:

أَلَسْتُ وَلِيَّ اللهِ هَادِي خَلْفِهِ؟

إِلَهُ بِهِ فِي الْخَالَةِ الْكَفَلِيَّةُ

يقر الشاعر بولاية المستغاث به في صيغة الاستفهام الذي يفهم من معناه الثانوي في هذا البيت بأداة "أ" في قوله: ألسنت ولي الله هادي خلقه؟
ومن حيث الصنعة البيانية، يوجد التشبيه البليغ في قوله:
هُوَ الْجِسْمُ مَنَى بِلَهُ هُوَ الرُّوحُ فِي الْخَشَا هُوَ الْكُلُّ مَنَى فِي طَرِيقِ الصَّنَابَةِ
وَحَقٌّ هَوَالِي فِي الْوَزَى وَصَبَابِي لَأَنْتَ اغْتِمَادِي فِي مَنَالِ هِدَايَتِي
فقد شبه الشاعر المستغاث به بالجسم والروح بدون ذكر أداة التشبيه لقصد الإبداع، ومنها الاستعارة المكنية في قوله: "ألسنت يد العلياء والفضيل يافعاً" لأن العلياء لا توجد لها يد، فهذا يدل إبداع المعنى في التعبير الاستعاري.
ومن جانب البديع توجد المقابلة في قوله:
هَدَمْتُ دَعَامَاتِ الْغَوَايَةِ وَالْعَيِّ وَأَخْبَنْتُ نُورَ الدِّينِ فَوْقَ النَّسِيحَةِ

الأسلوب

هو الطريقة التي يصوغ فيها الأديب أفكاره ويفصح بها عما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات سواء أكانت تلك الطريقة نثراً أم شعراً⁽²⁹⁾.
ومن خلال من سبق، نرى أن الشاعر ينتهج الأسلوب الأدبي الجيد في عرض أفكاره والتعبير عن أحاسيسه وتصوير أخيلته. وقد أعانه على استخدام هذا الأسلوب العمق في الأفكار والغوص في المعاني والالتجاء إلى الرموز الصوفية التي تتجلى في تلميح بعض المعاني والكنائيات، وإذا دققنا النظر في هذه القصيدة نرى واضحاً أنه يتحرى الأسلوب السهل الممتنع في صياغة الأفكار وعرض المعاني وترجمة العواطف بالألفاظ السلسة الرقيقة الممتعة والمعاني النقية الجذابة. وقد استطاع بهذا الأسلوب أن يجذب انتباه القراء حيث لا يلبثون طويلاً في قراءة القصيدة حتى يشاركوا الشاعر في المعاني التي يريدتها، وإن دقة الكلمات الواردة في القصيدة، والإيجاء الذي لم يثر انفعالات القراء فحسب، بل حملهم على التجاوب مع الشاعر في أحاسيسه وعواطفه، والتكرير في بعض الألفاظ التي اطمأن الشاعر إليها إفادة للتشويق، والكلمات غير الشعرية التي ابتعد عنها مما أضاف إلى هذا الأسلوب المازة الجمالية.

الجوانب العروضية

استخدم الشاعر بحر الطويل لقرض القصيدة وخضعت ألفاظها لقيود الوزن والقافية. ووزن البحر المستعمل:

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ # فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ

ويبدو جليا أن عروضه مقبوضة و ضربيه مقبوض أيضا . وهكذا كانت سائر أبيات القصيدة. والملاحظ أن هناك بعض الزحافات و العلل في أبيات القصيدة إذا تتبعنا التقطيع العروضي لبعض أبياتها على النحو التالي:

وَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ هَاكِبَ رَمْلَجَيْنِ # وَأَفْضَ لَمْزَجُونِ لِكَشْفِ لِمُفَمِّئِي
فَعُول مفاعيلن فَعُول مفاعِلن # فَعُول مفاعيلن فَعُولن مفاعِلن
لَجَأْتُ إِلَيْهِ يَوْسَ تَجَرَّتْ بَبَائِي # فَطُونَا يَأْذُبُ لِمُصْ طَفَأَ إِنْ تَجَارَتِي
فَعُول مفاعيلن فَعُول مفاعِلن # فَعُولن مفاعيلن فَعُولن مفاعِلن

وهذا التقطيع يوجد زحاف القبض؛ حذف الخامس الساكن من التفعلة، في الحشو و علة القبض في العروض و الضرب كذلك. و هكذا في يوجد في بقية أبيات القصيدة. و أما قافية القصيدة فهي مطلقة لأنها متحركة الروي و بعده وصل بإشباع كما مثلنا أنفا، و كانت الناء رويًا.

الخاتمة والنتائج

قد استطعنا في هذه الورقة أن ننظر في دلالة الاستغاثة اللغوية والاصطلاحية، ومفهومها الشعري حيث سلطنا الضوء على أنواعها في شعر الشيخ محمد الناصر كبر الصنهاجي وتم الإتيان بالنماذج من شعره على حدة، وركزنا الكلام على تائيتة التي استغاث بها بالشيخ عثمان الفودي الفلاني ودرسناها دراسة أدبية حيث عرضنا القصيدة حسب موضوعاتها وذكر المناسبة ثم حاولنا الحديث عن الشاعر، والشرح الإجمالي للقصيدة وإبراز المزايا الفنية التي تميزت بها القصيدة. ومن خلال هذه الدراسة استطعنا الحصول على النتائج التالية:

- الاستغاثة مسألة اختلف فيها العلماء حيث لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بالأولياء بعد موتهم على الإطلاق.
- يستغيث العلماء الصوفيون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم والأولياء بعد موتهم باعتبار أنهم أحياء عند ربهم يرزقون.
- الاستغاثة غرض من أغراض الشعر الصوفي الذي نال الرواج عند الأدباء الصوفيين وخاصة الشيخ محمد الناصر كبر الصنهاجي.
- تمتاز تائيتة الشيخ محمد الناصر كبر الاستغاثية بدقة الألفاظ ووضوح المعاني وروعة التعبير وجمال الأسلوب.
- تنال الاصطلاحات الصوفية نصيب الأسد في أشعاره الاستغاثية.
- تتصف أشعاره الاستغاثية بالوحدة العضوية، وليس تعدد بعض الموضوعات في قصائده مخالفا لهذه الفكرة بل إنها تدور حول موضوع واحد وهو الاستغاثية.
- تمتاز تلك الأشعار ببراء المعاني واتساع الخيال و صدق العواطف.

- وعلى الإطلاق، فإن تانيته الاستغائية خير دليل على سعة أفقه في فن الشعر العربي الجيد، وتضلعه في فنون العلم.

الهوامش:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار المعرف، القاهرة، غير مؤرخ، ص: ٣٣١٢
2. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٤م، ص: ٤٥٨
3. مجمع اللغة العربية، المرجع نفسه، ص: ٤٥٧
4. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، الطبعة ٤، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص: ٦٦٥
5. القصص، الآية: ١٥ رواية حفص لقراءة عاصم.
6. الكهف، الآية: ٢٩ رواية حفص لقراءة عاصم.
7. الأنفال، الآية: ٩ رواية حفص لقراءة عاصم.
8. الأحقاف، الآية: ١٧ رواية حفص لقراءة عاصم.
9. محمد الأمين عمر، الشيخ أبو بكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٨٨م، ص: ٢٢٦
10. محمد قريب الله الشيخ محمد الناصر كبر، دور الطريقة القادرية في رفع مستوى اللغة العربية والتربية الإسلامية في غرب أفريقيا، ط ١، دار القادرية، كنو، نيجيريا، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م، ص: ٣٢
11. شيخ عثمان كبر، بعض الظواهر الفنية في شعر مولانا الدكتور محمد الناصر كبر، ط ٤، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الجماهيرية العظمى، ١٤٢٤هـ/١٩٩٧م، ص: ١٤
12. شيخ عثمان كبر، الشعر الصوفي في نيجيريا، النهار للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ص: ٢٣٠
13. صلاتي أمين الله إبراهيم، الروح الصوفية في شعر محمد الناصر الكبري دراسة تحليلية، (بحث قدمه للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية و آدابها بجامعة إلورن) ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص: ٦
14. شيخ عثمان كبر، الشعر الصوفي في نيجيريا، ص: ٢٣١ بتصرف يسير.
15. محمد الناصر بن محمد المختار الكنوي الكبري، سبحات الأنوار من سحبات الأسرار، ص: ٥٢
16. شيخ متبولي كبر، المدائح النبوية في شعر الشيخ محمد الناصر كبر، دراسة تحليلية لقصيدته "الماء المسكوب" (رسالة للماجستير المقدمة إلى قسم اللغة العربية جامعة بايرو، كنو نيجيريا، ربيع الأول ١٤٢٣هـ/ مابو ٢٠٠٢م) ص: ٢٤
17. محمد الناصر بن محمد المختار الكنوي الكبري، سبحات الأنوار من سحبات الأسرار، غير مؤرخ، جمعه و دونه الحاج يوسف بن الشيخ عبد الله، ص: ٤٦-٤٧
18. محمد الناصر بن محمد المختار الكنوي الكبري، المرجع نفسه، ص: ٧٤-٧٥
19. علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ط ١، ١٩٧٢م، ص: ٦٠٣

20. شيخو أحمد غلادنت، حركة اللغة العربية و أداها في نيجيريا، ط1، المكتبة الأفريقية، سنة 1413هـ/1993م، ص: 150
21. عبد الكريم أبو بكر أولالين الصلاحي، المختارات من شعر المدح للشيخ الناصر الكبير ودراساتها التحليلية، (بحث قدمه للحصول على درجة الليسانس في اللغة العربية و أداها، قسم اللغة العربية، جامعة إوين)، سنة 2003م، ص: 72-74
22. بونس، الآية: 62-64 رواية حفص لقراءة عاصم
23. محمد الناصر بن محمد المختار الكنتوي الكبير، كتاب التوسلين العظيمين، محمد الثاني شاويش، كنتو، 1997م، ص: 12-15
24. محمد الناصر بن محمد المختار الكنتوي الكبير، المرجع نفسه، ص: 12
25. بدوي طهانة، النقد الأدبي، ط4، المملكة العربية السعودية، 1408هـ، ص: 28
26. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مادة: لجأ، ص: 815
27. بدوي طهانة، المرجع نفسه، ص: 31
28. عبد الرحمن شعيب، النقد الأدبي الحديث، التاريخ ومكان الطبع مجهولان، ص: 198

Jumada al-Ula 1443/Dec., 2021

ISSN(e) 2695-2343/ISSN(p) 1118-3365

It is also available on: www.malamjournal.org



MALAM

A JOURNAL OF ARABIC STUDIES

NEW SERIES
VOL. IV/ BOOK II

DEPARTMENT OF ARABIC
USMANU DANFODIYO UNIVERSITY SOKOTO NIGERIA